الخلاف في عود الضمير في قوله تعالى: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِّثْلِهِ) [البقرة: ٢٣] وأثره في إعجاز القرآن الكريم

الباحث/ مشعل بن خالد العندس

باحث بمرحلة الدكتوراه – قسم الدراسات القرآنية– كلية التربية

جامعة الملك سعود– المملكة العربية السعودية

الملخص:

تناول هذا البحث، **(الخلاف في عود الضمير في قوله تعالى: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِّثْلِهِ)** [البقرة: ٢٣] **وأثره في إعجاز القرآن الكريم)**، وتكمن أهمية البحث في تناوله لآية من آيات التحدي القرآنية التي تعد ميداناً مهمًا في ساحات النقاش العلمي بين العلماء؛ إذ تضمنت تلك الآيات إشاراتٍ ودلائل تدلُّ على بعض تلك الأقوال دون بعضها الآخر، وكان للخلاف في تفسير تلك الآيات أثرٌ علميٌّ مباشر في تحديد الوجه الإعجازي الذي وقع به التحدي القرآني، ويهدف البحث إلى الكشف عن مركزية آية التحدي في سورة البقرة في استدلال العلماء والمؤلفين على إعجاز القرآن الكريم، وتفرُّق كلام العلماء حول هذه الآية في التفاسير وكتب إعجاز القرآن الكريم، والكشف عن العلاقة بين الأقوال المذكورة في عود الضمير وبين وجوه إعجاز القرآن الكريم. وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أبرزها: أن إعجاز القرآن يعني: إثباتُ القرآنِ عجزَ الخلق عن الإتيان بما تحدّاهم به، وأن العلماء والمفسرين اختلفوا في عود الضمير في آية التحدي في سورة البقرة على قولين شهيرين، الأول منهما وهو عود الضمير إلى القرآن الكريم، والثاني منهما وهو عود الضمير إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز القرآني – التحدي – الخلاف– عود الضمير.

The Disagreement about the Pronoun Referring in the Almighty's Saying: [Al- (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِّثْلِهِ) and its Impact on the Inimitability of the Holy Quran Baqara: ٢٣]

Researcher/ Mishaal bin Khalid Al-Andis

PhD researcher, Department of Quranic Studies - College of Education – King Saud University - Kingdom of Saudi Arabia

ABSTRACT:

This research dealt with (The Disagreement about the Pronoun Referring in the Almighty's Saying: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِّثْلِهِ) (so produce a surah like it) [Al-Baqara: ٢٣] and its impact on the inimitability of the Holy Qur'an). The importance of the research lies in its handling of one of the Quranic challenge verses, which is an important field in the arenas of scientific discussion among scholars. As those verses included signs and evidence indicating some of these sayings without others. The disagreement in the interpretation of these verses had a direct scientific impact in determining the miraculous aspect in which the Qur'anic challenge occurred. The research aims to reveal the centrality of the verse of challenge in Surat Al-Baqarah in the reasoning of scholars and authors on the miraculousness of the Holy Qur'an, and the dispersal of scholars' words about this verse in the interpretations and books of the miraculousness of the Holy Qur'an, and revealing the relationship between the sayings mentioned in the pronoun referring and the aspects of the miraculousness of the Holy Qur'an. The research reached a set of results, most notably that the inimitability of the Qur'an means the Qur'an proves the inability of mankind to come up with what it challenged them to do, and that scholars and commentators differed in the pronoun referring in the verse of challenge in Surat Al-Baqara on two famous sayings. The first of which is the pronoun referring to the Holy Qur'an, The second of them is the pronoun referring to the Prophet, may God bless him and grant him peace.

Keywords: Quranic inimitability - challenge - dispute - pronoun referring.

بسم الله الرحمين الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الهادي الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن الله تعالى قد امتن هذه الأمة ببعث نبيها محمد صلى الله عليه وسلم، وأنزل عليه أشرف الكتب، وهو القرآن الكريم.

وجعله الله تعالى آية نبوته، ودلالته الدالة على صدقه، وضمَّنَه الهداية والعلم والنور، فهو آيته وبرهانه، وهو دليله ودليل أتباعه من بعده.

وإن القرآن الكريم هو معجزة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الكبرى، إذ تحدى الله تعالى الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا، وتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة فعجزوا، وقد أقام اللهُ تعالى عجزهم آيةً ودليلًا على صدق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

وإن العلماء قد اختلفوا منذ زمنٍ بعيد في الوجه الذي به صار القرآن الكريم معجزًا، والسِّرّ الذي من أجله لم يستطع أحدٌ الإتيان بمثل القرآن، وفي الأمر الذي وقع به التحدي على وجه التحديد.

فذهبوا في ذلك إلى مذاهب شتى، وأقوالٍ مختلفة ومتعددة، فمن العلماء من قال إن إعجازه في بلاغته وبيانه ونظمه الذي فاق به كل بيانٍ وكل نظمٍ بشريٍّ؛ إذ إن هذا الوجه هو الذي قد توفَّر في كل سورة، وهو الموافق لعلة معجزات الأنبياء السابقين؛ فكل نبي يُبعث بشيء هو من جنس ما برع فيه قومه.

ومن العلماء من قال إن إعجازه في ما تضمَّنَه من الإخبار عن الغيوب، وإنباء عن الأمم الماضية، والقرون الخالية، لاسيما ومحمد صلى الله عليه وسلم رجلٌ أميٌّ، لم يتعلم من مُعلّم، ولم يقرأ في كتاب.

ومنهم من قال إن وجه إعجازه هو ما له من الروعة التي تعتري سامعه وقارئه، والهيبة التي تغشاهم حين تلاوته واستماعه، وما له من تأثيرٍ يأخذ بالألباب، وسلطان قائمٍ على النفوس.

وقيل غير ذلك أقوالٌ كثيرةٌ، ولكل مذهبٍ وقولٍ منهم أدلته وبراهينه التي اتّكأ عليها وبنى عليها مذهبَه.

ولقد كانت آيات التحدي القرآنية ميداناً مهمًا في ساحات النقاش العلمي بين أولئك العلماء؛ إذ تضمنت تلك الآيات إشارات ودلائل تدلُّ على بعض تلك الأقوال دون بعضها الآخر، وكان للخلاف في تفسير تلك الآيات أثرٌ علميٌّ مباشر في تحديد الوجه الإعجازي الذي وقع به التحدي القرآني.

ومن ذلك ما وقع من خلاف بين العلماء في تفسير آية التحدي في سورة البقرة، وهي قول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

فقد اختلفوا في مرجع الضمير في قوله تعالى: **(فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِّثْلِهِ)** [البقرة: ٢٣]، والقول بأي قولٍ منهما يُساهم في ترجيح وجهٍ إعجازي من الوجوه التي ذكرها العلماء.

فمن هنا كان هذا البحث، والذي عنونتُ له بعنوان: **(الخلاف في عود الضمير في قوله تعالى: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِّثْلِهِ) [البقرة: ٢٣] وأثره في إعجاز القرآن الكريم)**.

لأسلط الضوء على ذلك الخلاف، وأثره العلمي في موضوع الإعجاز.

أسباب اختيار البحث:

١- مركزية آية التحدي في سورة البقرة في استدلال العلماء والمؤلفين على إعجاز القرآن الكريم.

٢- تفرُّق كلام العلماء حول هذه الآية في التفاسير وكتب إعجاز القرآن الكريم.

٣- الكشف عن العلاقة بين الأقوال المذكورة في عود الضمير وبين وجوه إعجاز القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسةٍ عُنيت بتسليط الضوء على الخلاف المذكور في هذه الآية الكريمة، فمضمون هذه المسألة مبثوثٌ في كتب التفاسير وكتب إعجاز القرآن، ولم أعثر على مَن جمعها -وفق ما وصفت فكرة هذا البحث-.

خطة البحث:

قسمتُ هذا البحث إلى مقدمةٍ وثلاثة مباحث وخاتمة. وهي على النحو التالي:

المقدمة.

واحتوت على: تسمية البحث، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الإعجاز لغةً.

المطلب الثاني: معنى الإعجاز اصطلاحًا.

المطلب الثالث: معنى مصطلح إعجاز القرآن.

المبحث الثاني: العلاقة بين الإعجاز والتحدي.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى التحدي لغةً.

المطلب الثاني: معنى التحدي اصطلاحًا.

المطلب الثالث: الفرق بين الإعجاز والتحدي.

المبحث الثالث: الخلاف في عود الضمير في قوله تعالى في آية سورة البقرة (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِّثْلِهِ).

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المذهب الأول: القائلون بأن مرجع الضمير هو القرآن الكريم.

المطلب الثاني: المذهب الثاني: القائلون بأن مرجع الضمير هو محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: الترجيح والمناقشة.

المطلب الرابع: ثمرة الخلاف.

الخاتمة.

وفيها: أهم نتائج البحث.

فهرس المصادر والمراجع

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز.

سأعرض في هذه المسألة –بصفةٍ مختصرةٍ– إلى: معنى (الإعجاز) لغةً واصطلاحًا، ومعنى (إعجاز القرآن) باعتباره مصطلحًا مركّبًا، وأُلمح إلى ما جرى من نقدٍ لمصطلح الإعجاز، وكونه مصطلحًا حادثًا، ثم أبيّن ما قيل في حكم استعماله.

وفيه هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الإعجاز لغةً.

العَجْزُ في لغة العرب يدور حول معاني: الضعف، وعدم القدرة.

قال ابن فارس: «العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مُؤخَّر الشيء. فالأول عَجزَ عن الشيء يَعْجِزُ عَجْزًا، فهو عاجز، أي: ضعيف... وأما الأصل الآخر فالعَجُزُ: مؤخر الشيء، والجمع: أعْجَاز، حتى إنهم يقولون: عَجُزُ الأمر، وأعْجَازُ الأمور. ويقولون: "لا تَدَبَّروا أعجازَ أمورٍ ولَّتْ صدورُها"».[(١)]

والتأخر والضعف متلازمان؛ لأن من تأخّر عن غيره فإنما يرجع ذلك إلى ضعفه.[(٢)]

وقال الراغب الأصفهاني: «العَجْزُ أصله: التأخّر عن الشيء، وحصوله عند عَجُزِ الأمر، أي: مُؤَخَّرِه... وصار في التّعارف اسمًا للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة».[(٣)]

وقال ابن منظور: «العَجْزُ: الضّعف، تقول: عَجَزْتُ عن كذا أَعْجِز... والمَعْجزة بفتح الجيم وكسرها: مَفْعِلَةٌ من العَجْز: عدم القدرة».[(٤)]

فإذا أُضيفت همزة التعدية إلى الفعل (عَجِزَ) صار (أَعْجَزَ)، ومصدره: (إعجاز)، ومعنى (الإعجاز): الفوتُ والسَّبْق؛ قال ابن منظور: «ومعنى الإعجاز: الفوتُ والسَّبْق، يُقال: أعجَزَني فلان أي: فاتني».[(٥)]

ويُقال أيضًا: «أَعْجَزْتُ الرجلَ: وجدتُه عاجزًا. وأعجَزَه الشيء، أي: فاتَه».[(٦)]

ومن الإعجاز اشتُقّ لفظ: (المعجزة)، فهي اسم الفاعل منه.

وأُلحقت التاء بها؛ للمبالغة؛ مثل: علّامة، وراوية، ونابغة.[(٧)]

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٢٣٢/٤-٢٣٣. وينظر: لسان العرب، لابن منظور ٣٦٩/٥.

(٢) إعجاز القرآن، للدكتور فضل عباس ص١١ بتصرف.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة (عجز)، ص٤٤٠.

(٤) لسان العرب، لابن منظور ٣٦٩/٥.

(٥) لسان العرب، لابن منظور ٣٧٠/٥.

(٦) الصحاح، للجوهري ٨٨٤/٣.

(٧) القاموس المحيط، للفيروز آبادي ٥١٦/١، وفتح الباري، لابن حجر ٥٨٢/٦. وفي هذه التاء خلافٌ مبسوطٌ في هذه الكتب.

المطلب الثاني: معنى الإعجاز اصطلاحًا.

الإعجاز في الاصطلاح هو: «زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عملٍ أو رأيٍ أو تدبير».[١]

والمعجزة في الاصطلاح -حسب التعريف المشهور لها- هي: «أمرٌ خارقٌ للعادة مقرونٌ بالتحدي سالمٌ عن المعارضة»[٢]، وسميت معجزة؛ لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها.[٣]

وسيأتي في بعض النقاط الآتية في التمهيد كلامٌ حول مناقشات العلماء لتعريف المعجزة المذكور.

المطلب الثالث: معنى مصطلح إعجاز القرآن.

(إعجاز القرآن) مركبٌ إضافي، يعني: «إثباتُ القرآنِ عجزَ الخلق عن الإتيان بما تحدّاهم به»، فهو من إضافة المصدر لفاعله، أما المفعول وما تعلق بالفعل فمحذوف؛ للعلم به. والتقدير: إعجازُ القرآنِ خلقَ الله عن الإتيان بما تحدّاهم به.[٤]

والمقصود هو لازمُ التعجيز وليس ذاته، وهو إظهار أن هذا الكتابَ حقٌّ من عند الله تعالى، وأن الرسول الذي جاء به ﷺ صادقٌ، وكذلك الشأن في كل معجزات الأنبياء.[٥]

(١) بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي ٦٥/١.

(٢) تفسير القرطبي ١١٢/١-١١٤، والإتقان، للسيوطي ١٨٧٣/٥ ط المجمع.

(٣) تفسير القرطبي ١١٢/١ ط التركي.

(٤) مناهل العرفان، للزرقاني ٣٥٤/٢. وينظر: لمحمود شاكر في كتابه (مداخل في إعجاز القرآن) ص١٥-١٦ تعريفٌ أو توصيفٌ لهذا المصطلح المركب، يقول: «إعجاز القرآن: صفةٌ منصوبةٌ للدلالة على أن القرآن كلام الله سبحانه أنزله بعلمه... على قلب محمد ﷺ ليكون معجزتَه التي تُوجب على من سمعها أن يشهد له بأنه رسول الله...».

(٥) مناهل العرفان، للزرقاني ٣٥٤/٢، ويَنظر مزيد شرح لذلك في: مادة صوتية منشورة على الشبكة العنكبوتية بعنوان: شرح كتاب إعجاز القرآن للخطابي، للدكتور عبدالمحسن العسكر، الجزء الأول، الدقيقة (٣٦:٥٤).

المبحث الثاني: العلاقة بين الإعجاز والتحدي.

سأشير في هذه المسألة –بصفةٍ مختصرةٍ– إلى: معنى (التحدي) لغةً واصطلاحًا، وإلى الفرق بينه وبين (الإعجاز).

وفي هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى التحدي لغةً.

أصل التحدي لغةً من (حدا)، قال ابن فارس: «الحاء والدال والحرف المعتل أصلٌ واحد، وهو السَّوْق، يُقال: حَدَا بإبِلِه: زَجَرَ بها وغَنَّى لها... وقولهم: فلانٌ يتحدَّى فلانًا، إذا كان يُباريه ويُنازعه الغَلَبة. وهو من هذا الأصل؛ لأنه إذا فعل ذلك فكأنه يَحْدُوه على الأمر، يُقال: أنا حُدَيَّاكَ لهذا الأمر، أي: ابْرُز لي فيه».[١]

وقال الزمخشري مؤكدًا وشارحًا: «وتحدى أقرانَه: إذا باراهم ونازعَهم الغَلَبة. وتحدَّى رسول الله ﷺ العربَ بالقرآن. وتحدى صاحبَه القراءة والصراع، لينظر أيهما أقرأ وأصرع، وأصله في الحُداء، يتبارى فيه الحَاديان ويَتعارَضَان، فيَتحدَّى كلٌّ واحد منهما صاحبَه، أي: يَطلب حُداءه، كما تقول: توفَّاه بمعنى: استوفاه، وأنا حُدَيَّاكَ، أي: مُعارِضُكَ».[٢] فالتحدي لغةً في ضوء ما سبق: أن يدعوَ داعٍ أحدًا إلى أمرٍ، فيُنازِعُه الغَلَبة؛ ليُظهرَ عجزَه فيه.

المطلب الثاني: معنى التحدي اصطلاحًا.

المقصود بالتحدي المُراد تعريفُه هنا هو: التحدي الذي يُذكر في باب الإعجاز، وهو التحدي المتعلق بالقرآن.

فقد بيَّن ابن تيمية التحدي المقصود في ضوء المعنى اللغوي، فقال: «والتحدي هو: أن يَحْدُوَهم، أي يدعوهم فيبعثهم إلى أن يعارضوه».[٣] فالتحدي بالقرآن اصطلاحًا أن يُقال: «طلبُ القرآنِ من الإنس والجن معارضتَه والإتيان بمثله إظهارًا لعجزهم عن ذلك».[٤]

وتحدي القرآن قد جاء في عدة آياتٍ، وهي:[٥]

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس ٣٥/٢.

(٢) أساس البلاغة، للزمخشري ١٧٥/١، ط الكتب العلمية.

(٣) الجواب الصحيح، لابن تيمية ٤٢٢/٥.

(٤) المدخل إلى علم إعجاز القرآن، للدكتور محمد العواجي ص٣٠.

(٥) وسأوردها بحسب ترتيبها في المصحف.

١- قول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

٢- قول الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

٣- قول الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٣-١٤].

٤- قول الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].(١)

٥- قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٤٨-٥٠].

٦- قول الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٣-٣٤].

وقد اختُلف في ترتيب آيات التحدي، فالقول الشائع المشهور أن ترتيب مجيء آيات التحدي هو بحسب ما يقتضيه العقل من الترتيب المنطقي لمستويات المطالبة، من التدرج بهم من الكثير إلى القليل، ومن الصعب إلى السهل، حيث بدأ بمطالبتهم بالإتيان بمثل القرآن أولًا، ثم بعشر سور ثانيًا، ثم بسورة واحدة ثالثًا، ثم بمطلق المثل رابعًا.

لكن هذا القول مُشكل؛ إذ يترتب عليه مُخالفةٌ للمُقرَّر في ترتيب نزول هذه السور، إذ يترتب عليه أن تكون سورة هود نزلت أولًا قبل سورة يونس، والصحيح الموافق للرواية أن نزول سورة يونس كان أولًا، ثم تلتها سورة هود، فتكون المطالبة بسورة قد وقعت قبل المطالبة بعشر سور، وهذا يُخالف ما ذهب إلى الكثيرون؛ لكونه موافقًا للترتيب العقلي.

---

(١) هذه الآية الكريمة محلّ اتفاق بين من تكلم في الإعجاز على دلالتها على التحدي ونُطقها به، إلا أن مما يحسن التنبيه عليه، أن الدكتور صلاح الخالدي -في كتابه: إعجاز القرآن البياني ص٥٢- قرر أن هذه الآية لا دلالة فيها على التحدي؛ وعلل ذلك بأنها «لا تتضمن طلبًا واضحًا صريحًا للإتيان بمثل القرآن، فليست من آيات التحدي؛ لأن التحدي لا يكون إلا بطلبٍ واضح صريح»، ووصف مضمونها بأنه: «إخبارٌ من الله، يُخبر رسوله بهذه الحقيقة، وليس تحديًا له». وهذا الكلام مخالفٌ لما عليه جماهير العلماء والمتكلمين في الإعجاز؛ فما معنى إعلان مثل هذا الخبر القاطع وتقريعهم بالعجز إلا استنفارهم إلى الإتيان بمثله لو قدروا. ثم إن اشتراط الإتيان بصيغة طلبية صريحة لصحة التحدي لا يُسلَّم.

إلا أن ذلك قد وُجِّه: بأن المطالبة بسورة أولًا كانت بسورة مماثِلَة للقرآن في النظم والمعاني، ثم جاء في المطالبة الأخرى تخفيفٌ، فطُولبوا بعشر سورٍ مفترياتٍ تُماثل القرآن في النظم فقط دون المعاني.(١)

لكن الأمر في هذه المسألة واسع؛ إذ التحدي كان يُراعي حال القائلين وظروف القول، فمرةً يطلب الإتيان بسورة، ومرةً بعشر سور، ونحو ذلك، دون ترتيبٍ زمني؛ لأن الغرض كان هو التحدي في ذاته، فالتحدي كان بنوع هذا القرآن لا بمقداره، والعجز كان عن النوع لا عن المقدار. وعندئذٍ يستوي الكل والبعض والسورة، ولا يلزم الترتيب.(٢)

المطلب الثالث: الفرق بين الإعجاز والتحدي.

وفق ما سبق تقريره في تعريف هذين المصطلحين، من أن إعجاز القرآن هو: (إثباتُ القرآنِ عجزَ الخلق عن الإتيان بما تحدّاهم به)، وأن التحدي هو: (طلبُ القرآنِ من الإنس والجن معارضتَه والإتيان بمثله إظهارًا لعجزهم عن ذلك)، فإنه يمكن القول بأن: الإعجاز هو النتيجة، بينما التحدي هو الوسيلة لإظهار هذه النتيجة.

فالإعجاز ظاهرٌ مع المعجزة بمجرد إظهار النبي لها، بينما التحدي آتٍ كسبيلٍ وطريقٍ لأن يظهر هذا العجز لهم ولغيرهم.

أمّا لو استُصحب تعريف المعجزة المشهور من أنها: (أمرٌ خارقٌ للعادة مقرونٌ بالتحدي سالمٌ عن المعارضة)، فإن التحدي على ذلك يُعدّ شرطًا في الإعجاز، ولازمٌ له، لا يمكن أن يتم إلا به.

ويكون الإعجاز بذلك منوطًا بالتحدي.(٣)

(١) روح المعاني للألوسي ٣٨١/١١.

(٢) التحدي في آيات الإعجاز، للدكتور قحطان الدوري ص٤٦. وينظر: آيات التحدي في القرآن الكريم الدلالة والإيحاء، للدكتور عبدالعزيز العمار ص١٧.

(٣) مداخل إعجاز القرآن، لمحمود شاكر ص٣١.

المبحث الثالث: الخلاف في عود الضمير في قوله تعالى في آية سورة البقرة (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِّثْلِهِ).

اختلف العلماء والمفسرون في مرجع الضمير في قول الله تعالى **(مِنْ مِّثْلِهِ)** على قولين:

القول الأول: أن مرجع الضمير هو القرآن الكريم.

ويكون المعنى على ذلك: (فأتوا بسورةٍ من مثل القرآن بلاغةً وفصاحةً... الخ).

القول الثاني: أن مرجع الضمير هو محمد صلى الله عليه وسلم.

ويكون المعنى على ذلك: (فأتوا بسورةٍ من رجلٍ مثلِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم في كونه أميًّا لا يحسن القراءة والكتابة).

وسأعرض رأي كل قولٍ من هذيْن القوليْن بأدلتهم، ثم أذكر الراجح منها.

ففي هذا المبحث أربعة مطالب:

المطلب الأول: المذهب الأول: القائلون بأن مرجع الضمير هو القرآن الكريم.

ذهب إلى هذا القول جماعةٌ من العلماء والمفسرين والمؤلفين في إعجاز القرآن.

فقد ذهب إليه من مفسري التابعين:مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ).[١]والحسن البصري (ت: ١١٠).[٢]وقتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ).[٣]ومقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠).[٤]

وذهب إليه بعدَهم من علماء اللغة:

الفراء (ت: ٢٠٧هـ).حيث قال: «الهاء كناية عن القرآن، فأتوا بسورة من مثل القرآن».[٥]

وأبوعبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠هـ).حيث قال: «(فأتوا بسورة من مثله) أي: من مثل القرآن».[٦]

ثم ذهب إليه أيضًا من المفسرين:

ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ).

حيث يقول: «فمعنى قول مجاهد وقتادة اللذيْن ذكرنا عنهما، أن الله جل ذكره قال لمن حاجه في نبيه صلى الله عليه وسلم من الكفار: فأتوا بسورة من مثل هذا القرآن من كلامكم أيتها العرب، كما أتى به محمد بلغاتكم ومعاني منطقكم».

---

(١) تفسير الطبري ٣٩٧/١.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٦٣/١.

(٣) تفسير الطبري ٣٩٦/١.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان ٩٣/١.

(٥) معاني القرآن للفراء ١٩/١.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ٣٤/١.

ورجحه بقوله: «والتأويل الأول الذي قاله مجاهد وقتادة هو التأويل الصحيح؛ لأن الله جل ثناؤه قال في سورة أخرى: {أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله} [يونس: ٣٨] ومعلوم أن السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيه، فيجوز أن يقال: فأتوا بسورة مثل محمد».(١)

والبغوي (ت: ٥١٦هـ).حيث رجَّح هذا القول في تفسيره للضمير في الآية.(٢)

وابن عطية (ت: ٥٤٢هـ).حيث وصفه بأنه قول الأكثرين، فقال: «واختلف المتأوّلون على من يعود الضمير في قوله مثله: فقال جمهور العلماء: هو عائد على القرآن».(٣)

والزمخشري (ت: ٥٣٨هـ).فقد بيّن ذلك فقال: «وَرَدُّ الضمير إلى المُنزَل أَوْجَه؛ لقوله تعالى: (فأتوا بسورة من مثله)، (فأتوا بعشر سور مثله)، (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله)، ولأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب، والكلام مع رَدِّ الضمير إلى المُنزَل أحسن ترتيبًا؛ وذلك أن الحديث في المُنزَل لا في المُنزَل عليه، وهو مسوقٌ إليه ومربوط به، فحقه أن لا يفك عنه برد الضمير إلى غيره. ألا ترى أن المعنى: (وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله، فهاتوا أنتم نُبَذًا مما يماثله ويجانسه). وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال: (وإن ارتبتم في أن محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله). ولأنهم إذا خوطبوا جميعا– وهم الجم الغفير– بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم، كان أبلغ في التحدي من أن يقال لهم: ليأتي واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد، ولأن هذا التفسير هو الملائم لقوله: (وادعوا شهداءكم) والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة».(٤)

والرازي (ت: ٦٠٦هـ).حيث فصَّل القول فيه، فقال: «ويدل على الترجيح له وجوه:

أحدها: أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في باب التحدي لا سيما ما ذكره في يونس فأتوا بسورة مثله [يونس: ٣٨] .

وثانيها: أن البحث إنما وقع في المنزل لأنه قال: وإن كنتم في ريب مما نزلنا فوجب صرف الضمير إليه، ألا ترى أن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله

(١) تفسير الطبري ٣٩٧/١.
(٢) تفسير البغوي ٧٢/١.
(٣) المحرر الوجيز ١٠٦/١.
(٤) الكشاف ٩٩/١.

فهاتوا شيئا مما يماثله وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال: وإن ارتبتم في أن محمد منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله.

وثالثها: أن الضمير لو كان عائدا إلى القرآن لاقتضى كونهم عاجزين عن الإتيان بمثله سواء اجتمعوا أو انفردوا وسواء كانوا أميين أو كانوا عالمين محصلين، أما لو كان عائدا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فذلك لا يقتضي إلا كون أحدهم من الأميين عاجزين عنه لأنه لا يكون مثل محمد إلا الشخص الواحد الأمي فأما لو اجتمعوا وكانوا قارئين لم يكونوا مثل محمد، لأن الجماعة لا تماثل الواحد، والقارئ لا يكون مثل الأمي، ولا شك أن الإعجاز على الوجه الأول أقوى.

ورابعها: أنا لو صرفنا الضمير إلى القرآن فكونه معجزا إنما يحصل لكمال حاله في الفصاحة أما لو صرفناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فكونه معجزا إنما يكمل بتقرير كمال حاله في كونه أميا بعيدا عن العلم. وهذا وإن كان معجزا أيضا إلا أنه لما كان لا يتم إلا بتقرير نوع من النقصان في حق محمد عليه السلام كان الأول أولى. وخامسها: أنا لو صرفنا الضمير إلى محمد عليه السلام لكان ذلك يوهم أن صدور مثله القرآن ممن لم يكن مثل محمد في كونه أميا ممكن. ولو صرفناه إلى القرآن لدل ذلك على أن صدور مثل من الأمي وغير الأمي ممتنع فكان هذا أولى».[1]

والسخاوي (ت: ٦٤٣هـ).فقال: «وأما من قال في قوله عز وجل: فأتوا بسورة من مثله: إن الهاء تعود على النبي صلى الله عليه وسلم، أي من مثل محمد صلى الله عليه وسلم في أميته، لا يعرف هو ولا قومه ما في القرآن من الأنباء، واستشهد على صحة ما ذهب إليه بقوله عز وجل: تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا: فكلام من ركب، الخطر ولم يُنعم النظر؛ لأن كلامه يقتضي أن بعض الناس يقدر على الإتيان بمثله، وهم العلماء بالسير، والممارسون للكتب وهذا يبطله قوله عز وجل: قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ».[2]

وتبعهم البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ).حيث رجح هذا القول في تفسير لهذه الآية.[3]

وابن جزي (ت: ٧٤١هـ).حيث رجحه في تفسيره للضمير في الآية.[4]

---

(١) تفسير الرازي ٣٤٩/٢-٣٥٠.

(٢) جمال القراء ٢١٥/١.

(٣) تفسير البيضاوي ٥٧/١.

(٤) تفسير ابن جزي ٧٦/١.

وأبوحيان (ت: ٧٤٥هـ).فقد قال: «والراجح الأول وهو قول أكثر المفسرين ورجحانه من وجوه:

أحدها: أن الارتياب أولا إنما جيء به منصبا على المنزل لا على المنزل عليه، وإن كان الريب في المنزل ريبا في المنزل عليه بالالتزام، فكان عود الضمير عليه أولى.

الثاني: أنه قد جاء في نظير هذه الآية وهذا السياق قوله: فأتوا بسورة من مثله، فأتوا بعشر سور مثله مفتريات على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله.

الثالث: اقتضاء ذلك كونهم عاجزين عن الإتيان، سواء اجتمعوا أو انفردوا، وسواء كانوا أميين أم كانوا غير أميين».[١]

وابن كثير (ت: ٧٧٤هـ).فقال: «والصحيح الأول؛ لأن التحدي عامٌّ لهم كلهم، مع أنهم أفصح الأمم».[٢]

والشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ).فقد رجحه في سياق تفسيره لهذه الآية.[٣]

والقاسمي (ت: ١٣٣٢هـ).فقد رجح في سياق تفسيره لهذه الآية.[٤]وابن عاشور (ت: ١٣٩٤هـ).

ورأى أن (مِن) هنا: ابتدائية، فقال: «فإن أُعيد إلى (ما نزلنا) أي: من مثل القرآن، فالأظهر أن (من): ابتدائية، أي: سورة مأخوذة من مثل القرآن، أي: كتاب مثل القرآن، والجار والمجرور: صفة لسورة».[٥]

والدكتور فضل عباس (ت: ١٤٣٢هـ).حيث قرر أن إتيان حرف الجر (من) لم يكون في سائر آيات التحدي، فإنما أتى في آخر آية نزولًا وهي آية سورة البقرة، وهو دالٌّ على (التبعيض)، فدل على أنهم لما عجزوا، طلب منهم الإتيان بشيءٍ من سورة.[٦]

والدكتور صلاح الخالدي (ت: ١٤٤٣هـ).فقد قال بعد أن حكى القول الثاني: «ولا نوافق هؤلاء العلماء فيما ذهبوا اليه» وقرر أن الهاء للقرآن، ورأى أن حرف الجر (للبيان).[٧]

(١) البحر المحيط ١٦٩/١-١٧٠.
(٢) تفسير ابن كثير ١٩٩/١.
(٣) فتح القدير ٦٣/١.
(٤) محاسن التأويل للقاسمي ٢٦٨/١.
(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٣٨/١.
(٦) إعجاز القرآن لفضل عباس ص٣٢.
(٧) إعجاز القرآن البياني للخالدي ص٥٩-٦٠.

والدكتور عبدالرؤوف مخلوف.حيث رجحه، وذكر أنه هو الوجه؛ واستدل بكلمة (مفتريات) في آية سورة هود.(١)والدكتور نعمي الحمصي.

فقد قال عن هذا القول: «الوجه المقبول دون غيره هو: عودة الضمير على القرآن، وبذلك قال الأكثرون ترجيحًا، أو نفيًا للوجه الآخر».(٢)

المطلب الثاني: المذهب الثاني: القائلون بأن مرجع الضمير هو محمد صلى الله عليه وسلم.

حُكي هذا القول في تفسير هذه الآية.فممن حكاه قولًا:

الطبري (ت: ٣١٠هـ)، حيث قال: «وقد قال قوم آخرون: إن معنى قوله: {فأتوا بسورة من مثله} [البقرة: ٢٣]: من مِثل محمدٍ من البشر؛ لأن محمدا بشر مثلكم».(٣)

وحكاه الزجاج أيضًا (ت: ٣١١هـ)، فقال: «وقال بعضهم: (من مثله): من بشرٍ مثله».(٤)

لكن الطبري والزجاج لم ينسباه لأحدٍ بعينه.

وقد وقع عند ابن الجوزي نسبة هذا القول إلى: أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠هـ)، والزجاج (ت: ٣١١هـ).(٥)

إلا أن هذه النسبة غير دقيقة؛ فأما أبوعبيدة فقد سبق بيان قوله، وهو من القائلين بالقول الأول، أن مرجع الضمير إلى القرآن.

وأما الزجاج فلم يرَ هذا القول، بل حكاه فقط، فلا يصح بذلك نسبته إليه.

ولم أقف على من قال بهذا القول من المتقدمين.

ومن ذهب إلى هذا القول من المتأخرين:محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ).فقد ذهب إلى هذا القول، ورجّحه، ونسب ذلك أيضًا إلى شيخه: محمد عبده (ت: ١٣٢٣)، فقال عن القول الاثني –أن مرجع الضمير إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم: «وهو أرجح؛ بدليل (مِن) الداخلة على (مثله) الدالة على النشوء، أي: فإن كان أحد ممن يماثل الرسول بالأمية يقدر على الإتيان بسورة فليفعل».

وقال أيضًا: «فهو يقول: إن كنتم صدقتم في أنكم مرتابون فلديكم ما يمحص الحق، فجِدُّوا في الفكر، ولا تتوانوا في النظر، وتدبروا هذا الكتاب، وها هو ذا معروضٌ عليكم،

(١) الباقلاني وكتابه اعجاز القرآن لمخلوف ص١٦٢.
(٢) فكرة إعجاز القرآن لنعيم الحمصي ص١٩٦-١٩٧.
(٣) تفسير الطبري ٣٩٧/١.
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٠/١.
(٥) زاد المسير ٤٤/١.

وائتوا بسورةٍ واحدةٍ من مثل ما جاء به هذا النبي الأمي، فإذا أمكن لكم ذلك فلخاطر الريب أن يمر بنفوسكم، وإلا فما وجه إعراضكم عن دعوته، وإبطائكم عن تلبيته؟».[1]

وقال أيضًا: «هذا مُحصَّل سياق الأستاذ في الدرس، وقد قرأه بعد كتابتنا له، وكتب العبارة الأخيرة لإيضاحه بخطه بعد طبع التفسير في المنار، وترجيحه: كون الضمير في مثاله للنبي صلى الله عليه وسلم خاصٌّ بهذه الآية، وهو لا ينافي العجز عن الإتيان بسورة مثل سور القرآن من غير الأميين، ورجح الجمهور الأول، لموافقة الآيات الأخرى في هذا التحدي».[2]

وقال في موضع آخر أيضًا: «وقد جزم بعجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله، ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله، فهذا التحدي حجة مستقلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بصرف النظر عن المتحدى به ما هو، وكل نوع من تلك الأنواع السبعة الثابتة للقرآن حجة مستقلة في نفسها، وحجة أنهض وأقوى باعتبار أمية من جاء بها، فإن أمكن تمحل المراء والجدل في بعض الوجوه التي ذكرنا لإعجازه فهل يمكن ذلك في جملتها أو في كل منها؟ كلا».[3]

ومن ذهب إلى ذلك أيضًا من المؤلفين في الإعجاز:

الدكتور إبراهيم التركي.حيث ذكر هذا القولَ في سياق إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر القول الآخر، وكان سياق إيراده له سياق المُثبِتِ لمعناه، القائلِ له، وهو مُتضمّنٌ تقويةَ هذا القول.[4]

المطلب الثالث: الترجيح والمناقشة.

بعد عرض أقوال الفريقيْن يترجح والله أعلم أن القول الأول هو الصواب.

وذلك لعدة أمور:

١- لدلالة الآيات الأخرى التي ذكرت التحدي في الإتيان بمثل القرآن، مثل قول الله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ٣٨﴾ [يونس: ٣٨]، ومثل قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ١٣﴾ [هود: ١٣]. ففي هذه الآيات الكريمة ذُكر أن المثل المطلوب هو السورة المماثلة للقرآن، ولم يأت حرف

(١) تفسير المنار ١٦٠/١.

(٢) تفسير المنار ١٦٠/١.

(٣) تفسير المنار ١٨٣/١.

(٤) وصف القرآن بالمعجزة للتركي ص٨٣.

الجر (من)، فهذا يدل على أن آية التحدي في سورة البقرة محمولةٌ على هذا المعنى أيضًا.

٢- أن كلمة مفتريات في آية سورة هود تدل على ذلك. فالله تعالى قال في آية التحدي في سورة هود: أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ [هود: ١٣-١٤]. فكلمة مفتريات تدل على أن المراد: الإتيان بمثل القرآن في نظمه وبلاغته وفصاحته، ولو كان من حيث المعاني مفترىً، فهذا يدل على أن ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني من كون المراد: الإتيان بمثل القرآن من مثل محمد صلى الله عليه وسلم -والذي لا يتجه إلى الإتيان بمثل معانيه وأخباره بالغيوب- غير مُرادٍ في الآية، بدلالة آية سورة هود.

٣- أن الراجح في معنى (مِن) هنا أنها بيانية، فلا تفيد حينئذٍ الدلالة على أن المراد: مِن مثل النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنها تُبين أن المطلوب: الإتيان بسورةٍ في مثل بيان القرآن ونظمه وفصاحته.

٤- أن سياق الآيات آتٍ بالكلام على القرآن الكريم، فكان في القول بأن المراد الإتيان بمثل القرآن: موافقةً لسياق الآيات. كما أن القول بأن المراد الإتيان بمثل القرآن من مثل النبي صلى الله عليه وسلم: مخالفةً للسياق، وخروجًا بالآية عما وُجّهت له، وهذا يتطلب مزيدًا من التأويل لإيضاح معنى الآية وفق سياقها.

٥- أن القول بأن المراد هو القرآن، هو قول جمهور أهل العلم من المفسرين والمؤلفين في الإعجاز، وأما القول الآخر فهو وإن حُكي إلا أنه لا يُعرف له قائلٌ من المتقدمين، بل لم أقف على قائلٍ له إلا مَن ذكرت فقط، ولا شك أن ذلك دالٌّ على ضعف هذا القول؛ إذ مخالفةُ جمهور أهل العلم مُضعفةٌ للقول العلمي ولابد.

٦- أن ذلك هو الموافق للغة؛ لذهاب جملةٍ من المؤلفين في معاني القرآن وبلاغته إلى ذلك ونصِّهم عليه.

المطلب الرابع: ثمرة الخلاف.

وبعدُ.. فثمرة هذا الخلاف العلمي في تفسير هذه الآية ينعكس على القول في وجه إعجاز القرآن الكريم وحقيقته.

فالقائلون بالقول الأول: أن الضمير عائدٌ إلى القرآن الكريم، يروْن أن وجه إعجاز القرآن الكريم هو في بلاغته وفصاحته وبيانه؛ لأن الله تعالى طالَبَ المشركين من العرب ومن

بعدهم بالإتيان بسورة مماثلة للقرآن فيما تضمنه من الفصاحة والبلاغة. فعلى هذا القول يكون الإعجاز القرآني أمرًا ذاتيًا فيه، ليس لشيءٍ خارجٍ عنه.

في حين أن القائلين بالقول الثاني: أن الضمير عائدٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، يروْن أنه وجه إعجاز القرآن الكريم هو في إتيان القرآن مِن مِثْلِ محمد صلى الله عليه وسلم، كونه رجلًا أميًا، لا يحسن القراءة والكتابة، ومع ذلك أتى بهذا القرآن الذي تضمن هذه العلوم والغيوب المذكورة فيه.

فهذا القول لا يتجه إلا إلى جعل وجه إعجاز القرآن الكريم هي فيما تضمنه من الإخبار بالغيوب؛ لأن ذلك الوجه يعتمد على كون النبي صلى الله عليه وسلم أميًا، فبالتالي يكون عود الضمير في الآية إليه دالٌ على هذا الوجه الإعجازي.

الخاتمة.وفيها: أهم نتائج البحث.

خلص هذا البحث إلى نتائج عدة، أُوجزُها فيما يلي:

١- أن الإعجاز لغةً يدور على معاني: الضعف والتأخر.

٢- أن الإعجاز اصطلاحًا يعني: زوال القدرة على الإتيان بالشيء.

٣- أن المعجزة في الإصلاح: أمرٌ خارقٌ للعادة مقرونٌ بالتحدي سالمٌ عن المعارضة.

٤- أن إعجاز القرآن -باعتباره مصطلحًا مركبًا- يعني: إثباتُ القرآنِ عجزَ الخلق عن الإتيان بما تحدّاهم به.

٥- أن التحدي في اللغة: أن يدعوَ داعٍ أحدًا إلى أمرٍ، فيُنازِعُه الغَلَبة؛ ليُظهرَ عجزَه فيه.

٦- أن التحدي في الاصطلاح -والذي يتعلق بإعجاز القرآن الكريم-: طلبُ القرآنِ من الإنس والجن معارضتَه والإتيان بمثله إظهارًا لعجزهم عن ذلك.

٧- أن الشائع في ترتيب آيات التحدي مخالفٌ للرواية المنقولة، فالرواية المنقول تدل على أن ترتيب آيات التحدي كان: آية سورة الإسراء، ثم آية سورة يونس، ثم آية سورة هود.

٨- أن خلاصة الفرق بين الإعجاز والتحدي في باب إعجاز القرآن الكريم: أن الإعجاز هو النتيجة، بينما التحدي هو الوسيلة لإظهار هذه النتيجة.

٩- أن العلماء والمفسرين اختلفوا في عود الضمير في آية التحدي في سورة البقرة على قولين شهيرين.

١٠-أن القول الأول منهما وهو عود الضمير إلى القرآن الكريم، قال به جماهير العلماء من المفسرين والمؤلفين في الإعجاز.

١١-أن القول الثاني منهما وهو عود الضمير إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل به أحد من المتقدمين -حسب علمي-، بل قال به محمد رشيد رضا من المعاصرين.

١٢-أن الراجح هو القول الأول، وهو: عود الضمير إلى القرآن الكريم؛ لكون ذلك هو الموافق للسياق، وهو المتسق مع سائر آيات التحدي في السور الأخرى.

فهرس المصادر والمراجع:

- أساس البلاغة، للزمخشري، جار الله، أبي القاسم، محمود بن عمر بن أحمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.
- إعجاز القرآن البياني، للدكتور صلاح الخالدي، ط١، دار عمار، ١٤٢١هـ.
- إعجاز القرآن، للدكتور فضل عباس، دار النفائس ط٨، ١٤٣٦هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ناصر الدين، أبي سعيد، عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، دار إحياء التراث، ط١، ١٤١٨هـ.
- آيات التحدي في القرآن الكريم الدلالة والإيحاء، للدكتور عبدالعزيز العمار، نشر دار كنوز إشبيليا.
- الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية نقدية، للدكتور عبدالرؤوف مخلوف، نشر مكتبة الحياة ببيروت، ١٩٧٨م.
- البحر المحيط، تأليف: أبي حيان، أثير الدين، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الغرناطي، تحقيق: د.عبدالرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٣هـ، نشر: دار إحياء التراث العربي ببيروت
- بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي، مجد الدين أبوطاهر، محمد بن يعقوب، ط إحياء التراث، ١٤١٦هـ.
- التحدي في آيات الإعجاز، للدكتور قحطان الدوري، ط١، ١٤١٧هـ، دار البشري.
- التحرير والتنوير، تأليف: محمد الطاهر بن عاشور، ١٩٨٤م، نشر: الدار التونسية بتونس
- التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: أبي القاسم، محمد بن أحمد بن جُزي الكلبي الأندلسي الغرناطي، تحقيق: علي بن حمد الصالحي، ط١، ١٤٣٩هـ، نشر: دار طيبة الخضراء بمكة المكرمة
- تفسير القرآن الحكيم، (تفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢، ١٤٢٠هـ، نشر: دار طيبة بالرياض.
- تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي محمد، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي الرازي، ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط١، ١٤١٧هـ، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة.

- تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان بن بشير البلخي، ط إحياء التراث، ط١، ١٤٢٣هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: أبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، ١٤٢٢هـ، نشر: دار هجر بالقاهرة.
- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبدالله، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ومحمد رضوان عرقسوسي، ط١، ١٤٢٧هـ، نشر: مؤسسة الرسالة ببيروت.
- جمال القراء وكمال الإقراء، تأليف: عَلَم الدين، أبي الحسن، علي بن محمد بن عبدالصمد السخاوي، تحقيق: عبدالحق القاضي، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، ط١.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، تقي الدين، أحمد بن عبدالحليم، نشر العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، شهاب الدين، محمود بن عبدالله الحسيني، ط الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، جمال الدين، أبي الفرج، عبدالرحمن بن علي بن محمد، ط الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربي، للجوهري، إسماعيل بن حماد، نشر دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- فتح الباري، تأليف: أبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ١٣٧٩هـ، نشر: دار المعرفة ببيروت.
- فتح القدير، للشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله اليمني، ط دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ.
- فكرة إعجاز القرآن، للدكتور نعيم الحمصي، نشر دار الرسالة، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مجد الدين أبوطاهر، محمد بن يعقوب، ط الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تأليف: أبي القاسم، جار الله، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، ط٣، ١٤٠٧هـ، نشر: دار الكتاب العربي ببيروت.
- لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

- مجاز القرآن، تأليف: أبي عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، ١٣٨١هـ، نشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة
- محاسن التأويل، للقاسمي، محمد جمال الدين بن محمد بن قاسم الحلاق، ط دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، أبي محمد، عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن الأندلسي، ط الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ.
- مداخل إعجاز القرآن، لمحمود شاكر، ط١ ١٤٢٣هـ مطبعة المدني ودرا المدني بجدة.
- المدخل إلى علم إعجاز القرآن، للدكتور محمد العواجي، نشر دار وقف أضواء الشاطبية، ط١، ١٤٤٤هـ.
- معالم التنزيل، تأليف: أبي محمد، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وعثمان جمعة وسليمان مسلم، نشر: دار طيبة بالرياض
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، نشر عالم الكتب ببيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن، للفراء، أبي زكريا، يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور، تحقيق: أحمد النجاتي، نشر دار المصرية، ط١.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، نشر دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- مفاتيح الغيب، للرازي، أبي عبدالله، محمد بن عمر بن الحسن، دار إحياء التراث، ط٣، ١٤٢٠.
- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، نشر دار القلم، ط٢، ١٤٤١هـ.
- مناهل العرفان، تأليف: لمحمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، نشر: دار الكتاب العربي ببيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- وصف القرآن بالمعجزة في التراث العربي عرض وتقويم، للدكتور إبراهيم التركي، ط١ ١٤٣٩هـ، دار كنوز إشبيليا.